مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : ...-..... Issn : 2353-043X
المجلد 04/ العـدد 02: (2017)، ص 61- 73

الحوارات التصورية عند ابن العربي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن

الدكتور: أجدير نصر الدين
قسم العلوم الاسلامية-جامعة تلمسان- الجزائر.

ملخص:

اختلفت مناهج المفسرين وطرائق عرضهم لمراد الله تعالى فمن موجز ومطول ومن معمل للظواهر ومن غائص في البواطن، وممن برع في تفسير كتاب الله عز وجلّ تفسيرا مجليا فيه الأحكام الشرعية ابن العربي في كتابه النفيس الجامع لأحكام القرآن، ومن دقة استدلالاته افترض خصوما وهمية معترضة على ما ساقه وشرع يزيل الغموض ويدفع التعارض كما لو كان الخصم حاضرا وبالتالي اذعان المكابر واستسلامه للاستدلالات التي ساقها .

الكلمات المفتاحية: تفسير – ابن العربي – التصور- الحوار.

Keywords: Tafseer Ibn al-Arabi Visualization - dialogue

مقدمة:

الحمد لله الذي ميّز كتابه بالبيان، واصطفى له من الحذّاق جملة من الأعيان، ليدفعوا الإشكال عنه بمنهج ظاهر للعيان، أذعن لامتثال المكابر لقوة البرهان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه الموسومين بالاتزان والايمان وبعد:

فإن أعظم ما تبذل فيه الأوقات وتصرف فيه الأموال والجهود الانكباب على كتاب الله تعالى فهما وتيسيرا وتذليلا للطالبين الراغبين، ولا يتأتى ذلك إلا لمن خصته العناية الربانية بالاصطفاء على الأقران والانتخاب من بين العلماء والنظار، لأن المتعلق عظيم وشرف الناظر فيه بشرف ما ينظر فيه وكلام من يتعامل معه، لذا نجد الصعوبة في التعامل مع آي القرآن العظيم مخافة الانزلاق والقول على الله ما لم يقل .

والنظر في كتاب الله عز وجلّ من المهمات التي يفتح الله فيها على المكلف باتساع حدقته في النظر وإعمال الظواهر وقد يتحنن عليه فتلوح له إشارات وتوسمات يوردها

المنارة للاستشارات

استئناسا تطرب لها النفوس وتنقاد وتذعن لكن لا على سبيل القطع والجزم، والتعويل على الظواهر الأصل ولا عدول الا بإذن شرعي صارف.

وإن كان من الفضل العميم بيان مراد الله من آي القرآن وتفسير النص القرآني وفق ما وقت أهل الصنعة، فإنه من الأفضل بيان ذلك بمنهج قوي في الاستدلال بحيث يذعن إليه المكابر ويسد منافذ الشك والريب حال الوقوع أو التوقع.

وممن طلع عليهم نجم السعود في بيان مراد الله من النصوص الإمام الحجة ابن العربي في سفره النفيس أحكام القرآن الكريم، وقد نهج فيه منهجا فريدا من حيث الاستدلال وتقرير الحقائق.

من أجل هذه الغاية وغيرها أتى هذا البحث لتجلية مناهج الاستدلال والمحاورات التصورية عند ابن العربي في كتابه الجامع لأحكام القرآن الكريم على النحو التالي:

الفرع الأول: التعريف بالمؤلف

الفرع الثاني: التعريف بالكتاب

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية للمناظرات التصورية

الفرع الأول: التعريف بالمؤلف:

الورقة الأولى: المصنف والبيئة الأسرية والعلمية :

أولا: البيئة الأسرية:

المصنف: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري - نسبة إلى معافر بن يغفر ابن مالك ابن الحارث ينتهي نسبه إلى قحطان ولم يذكر إبن حزم آل العربي ،ولعله يقتصر على البيوتات الشهيرة لذلك العهد وشهرة آل بني العربي إنما جاءت بعد[1] - الأندلسي الإشبيلي الإمام العلامة الحافظ القاضي ختم العلم والعلماء وفخر الأصفياء والأولياء ، ولد باشبيلية في يوم الخميس 22شعبان 468 في بيت علم وسلطان وجاه.[2]

[1]- ينظر للاستزادة : لب الألباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي، تح: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ج2 ص 264، الأنساب للسمعاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج4 ص 223.

[2]- ينظر: تاريخ قضاة الأندلس للنباهي، تح: مريم قاسم طويل، ط1،ردار الكتب العلمية،بيروت، سنة 1995م، ص104، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،

المنارة للاستشارات

والده: أبو محمد عبد الله محمد ابن عبد الله ابن العربي 435- 493 من وجوه علماء أشبيلية كان واسع المدارك متفننا في الأدب والبراعة متقد الذهن والذي أصّل لمجد خالد لبيت آل ابن العربي بمدينة إشبيلية ومنه ذاع صيتهم وقوي عند الناس احترامهم وهيبتهم كونه جمع بين الريادة العلمية والسياسة [3].

أمه: من شريفات الأندلس وأعلامها من بيت رياسة وسياسة تلك أسرة أبي جعفر ابن الحسن الوزن 460.393 عالم الأندلس و محدثها زاحم المعتضد ابن عباد في الاستئثار بالسلطان ففتك به و قتله بيده و هل عليه التراب في قصره [4].

ثانيا :البيئة العلمية:

إنّ بيئة الأندلس بيئة طلب والقاطن بها بالفطرة يجد نفسه متماش مع أجوائها العامة ولقد كان لذلك أثر كبير في حياة المصنف لذا نجده تتملذ على يد جمع غفير من حذاق الأندلس وعلمائها منهم:

أبو عبد الله الكلاعي ، أبو الحسن ابن علي ابن محمد ابن ثابت الحداد الخولاني المقرئ ، و أبو عبد الله محمد ابن علي المازني التميمي، و أبو الحسن ابن داود الفارسي ابن الكزروني و أبو الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي الحافظ ابن محمد هبة الله ابن أحمد الكفاني الأنصاري الدمشقي و أبو الفضل أحمد ابن علي ابن فرات وأبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي المعروف بإبن الطيور ، أبو حسن علي ابن الحسين ابن أيوب البزاز، و أبو المعالي ثابت ابن بندار البقال المقرئ و القاضي أبو البركات طلحة ابن أحمد ابن طلحة العاقولي الحنبلي و فخر الإسلام أبو بكر محمد ابن أحمد ابن الحسين ابن عمر الشاشي الشافعي و أبو حامد الغزالي و غيرهم كثير [5] .

الورقة الثانية: المصنف ومراحل الطلب:

أولا: طلبه العلم وشخصيته العلمية:

ج2، ص 141، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال،تح: عزت عطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ج2، ص 558، ومحمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج3، ص 114.

[3]- ينظر اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ، تح: عبد الطيف حسن عبد الرحمن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج2، ص 342.

[4]- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص 418.

[5]- ينظر: قانون التأويل لابن العربي، تح: محمد السليماني، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990م،ص 69 – 81.

المنارة للاستشارات

كان ابن العربي متقد الذهن منور السريرة أغذق عليه المولى بخلال عظيمة منها سرعة البديهة واتقاد الذكاء والحفظ ما أهّله ليكون قبلة الطلاب والعلماء فقد خرج به أبوه سنة 485هـ من اشبيلية مستهل ربيع الأول بعد أن سقطت دولة آل عباد، وقصدوا شمال افريقية فكان أول مكان حطوا به الرحل ثغرة أنشئ من سنين قريبة من سنين قريبة على ساحل بلاد الجزائر وهو ثغرة بلاد "بجاية" وعمره لا يتجاوز السبعة عشر سنة، ثم ارتحلوا بحرا مشرقين إلى ثغرة "مهدية" ثم اضطرته الظروف إلى الارتحال الى المشرق فجال فيها وأخذ عن علمائها وفقهائها وكان مميزا بين الطالبين لما حباه الله به من مواصفات الطالب المجد، فارتحل إلى مصر و دمشق وبغداد و الحرمين، فبرع في فنون شتى كالفقه و أصوله واتسع في الرواية وعلو الأسانيد وعلوم المناظرة والمنطق والخلاف والكلام، كما أحاط بمقاليد اللغة وفنونها فكان ناثرا شاعرا، ثم عاد على بلد اشبيلية بعلوم غزيرة فكان متكلما في أنواع الفنون نافذا في جمعها حريصا على أدائها و نشرها مميزا الصواب منها و يجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة و كثرة الاحتمال و كرم و كرم النفس وحسن العهد و ثبات الرد[6].

قال الذهبي: "قال القاضي عياض، وهو ممن أخذوا عنه: استقضى ببلده، فنفع الله به أهلهان لصرامته وشدة نفوذ أحكامه، كانت له في الظالمين سورة مرهوبة، وتؤثر عنه في قضاياه أحكام غريبة، ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه"[7].

فكل ما أرخوه عن المصنف يشهد له بحيازة الفنون والتضلع فيها خصوصا ربط الأحكام بمقاصدها وبيانها على النحو المرتضى.

ثانيا: مواقفه وثباته على الحق:

كان ابن ا العربي يفخر بالانتماء إلى بلدته ويدافع عنها ويذوذ عن حياضها، وتبدى له أن الأسوار المحيطة بالبلدة لا تقاوم أحداث الدهر إذ لمت بالبلد ملمة ، فعزم علي ترميمه ،وسد بعض الثلم الواقعة فيه واتفق وقوع ذلك من زمن انصرفت فيه الحكومة عن مثل هذا الأمر أو المال اللازم لذلك لم يكن متوافرا لديها فخرج ابن العربي عن كل ما تحت يده من ماله الخاص و رصيده لتحقيق هذا الواجب المالي العام ، و دعا الأمة إلى البذل فيه و أقبلت خلال الأيام الأولى من شهر ذي الحجة ، فكان ابن العربي أول من

---

[6]- ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف ج 1 ص 136.

[7]- القاضي عياض وجهوده في علمي الحديث، د. بشير الترابي، ص 139، 140.

المنارة للاستشارات

خطر على باله الاستفادة من جلود الأضاحي في المصالح العامة فحض الناس على إن يتبرعوا بجلود أضاحيهم لبناء هذا السور ، إلا أنّ أعداؤه ومبغضي طريقته أثاروا العامة عليه بأساليبهم الخبيثة نابوا بداره وهاجموه في داره وكانت هذه الحادثة وقعت في آخر ولايته للقضاء فنكب ابن العربي في هذه الثورة و نهبت كتبه كلّها، و انصرف ، أو صرف عن القضاء و تحوّل مؤقتا إلى قرطبة وكان له فيها تلاميذ و مريدون[8].

وقد أخذ عنه و تلقى عليه طائفة من كبار العلماء الإسلام منهم قاضي المغرب وحافظه القاضي عياض ابن موسى اليحصبي المؤلف و ابنه القاضي محمد ابن عياض و الحافظ ابن مجاهد الاشبيلي و أبو جعفر ابن الباذش ،و أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحيم الخزرجي، و أبو حسن ابن النعمة ، و أبو بكر محمد ابن خير الأموي الاشبيلي[9] .

الورقة الثالثة: وفاته وتركته العلمية:

أولا: وفاته: أخذت وفود مدائن الأندلس تفد على مراكش بعد سقوط دولة بني تاشفين على يد عبد المؤمن ابن علي صاحب دولة الموّحدين طالبة من عبد المؤمن الاستيلاء على بلادهم من بقايا المراكشيين و حضر في سنة 542.وفد إشبيلية برآسة عظيمها و كبير علمائها الإمام أبي بكر العربي و لسبب غامض حبس عبد المؤمن هذا الوفد في مراكش نحو عام ثمّ سرحوا فأدركته منيته منحرفه من مراكش في موضع يسمى أغلان على مسيرة يوم من فاس غربا منها فاحتمل ميتا إلى فاس في اليوم الثاني من موته و صلى عليه صاحبه أبو الحكم ابن الحجاج و دفن يوم الأحد 7 ربيع الأول 543 خارج المحروق أعلى فاس بتربة القائد مصطفى رحمه الله تعالى[10]

كان لسقوط دولة بني تاشفين على

في آخر شيخوخة و عقب ذلك.

ثانيا: تركته العلمية

إن ما كتب له القبول وذاع بين الناس وتداولته أيادي طلاب العلم وانكبوا عليه من مدوناته الكثير والمشهور منها:

---

[8]- ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون، ص 284.

[9]- المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي ، تح: شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ج1، ص 283 وما بعدها .

[10]- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1385هـ/1996م، ج2، ص 223.

المنارة للاستشارات

أحكام القرآن.
المسالك في شرح موطأ مالك.
عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي.
العواصم من القواصم.
الناسخ والمنسوخ.
الفرع الثاني: توصيف الكتاب:

الفرع الثاني: التعريف بالكتاب:

تعويلا على القاعدة المنطقية التي مفادها الحكم على الشيء فرع عن تصوره توجب النظر إجمالا في المدوّن وبيان نسبته لصاحبه وأهم مضامينه حتى إذا ما سقنا الجزئيات تجلت أعنتها وبانت للناظر أصولها في الكتاب.

الورقة الأولى: توصيف الكتاب ومنهج صاحبه فيه:

أولا: توصيف الكتاب وأهميته:

كتاب الجامع لأحكام القرآن لابن العربي من مفاخر المالكية ومراجعها التي لها الريادة في الذكر والاحتكام ويقع في أربعة أجزاء وقد طبع محققاً، حقَّقه علي محمد البيجاوي، حيث يقول في مقدمته: "وها أنا ذا أقدِّم هذه الطبعة الجديدة، وأبذل فيها جهداً جديداً في الضبط والشرح والتحقيق، راجياً أنْ يكون ذلك كفاءً لما لقيه الكتاب من تقدير الباحثين وإقبالهم"[11].

ثانيا: مصادر المؤلف في الكتاب:

ولا شك من عود المتأخر إلى تراث المتقدم ليفيد منه تعويلا أو تمحيصا واستدراكاً، والمتأمل في مدون الجامع يجد صاحبه قد صرّح في الأخذ عن العديد من الكتب التي لا غنى لمفسر عنها منها[12]:

*جامع البيان في تفسير القرآن لشيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله ، وقد انتصر له في العديد من المواطن وجلّى قوة استدلاله وبرهانه فقال "وقد أعددنا إليكم توصية أنْ تجعلوا القرآن إمامكم وحروفه أمامكم، فلا تحملوا عليها ما ليس فيها، وما هُدي لهذا

[11]، ابن العربي، أحكام القرآن ، ص21.
[12]، مصطفى المشني، ص 54، 55.

المنارة للاستشارات

إلاَّ الطبري بجلالة قدره، وصفاء فكره، وسعة باعه في العلم، وشدة ساعده وذراعه في النظر"[13].

*شفاء الصدور" للنقاش وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 140 و634، والنقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي، توفى عام 361هـ، ومن أمثلة ما نقله ابن العربي عن النقاش فقد نقل عنه ورجح بأقواله في غير ما موضع يقول: " حكاه النقاش ..." وفي كثير من المواطن لا يسلم له بل ينتقد أفكاره قال: "فقد خرج من هذا الحديث الصحيح أنَّ عائشة طلبته أيضاً، فتبيَّن بطلان قول النقاش"[14].

*تفسير الجصاص الحنفي، وتفسير الكيا الهراسي الشافعي: وابن العربي في نقله عن هذين العالمين لم يكن ينقل نقلاً مسلّماً في كل حال، بل كان كما يقول المشني: "بيد أنَّ الملحوظ هنا أنَّ نقل ابن العربي عن هذين المفسريْن اتسم بالرد والتعقيب في الغالب الأعم، ثم بالموافقة أحياناً مع العلم أنَّ أخذه عنهما بقدر محدود"[15].

هذا ولابن العربي . رحمه الله تعالى . مصادر أخرى لم يُسِّم أصحابها، بل كان يكتفي بالنقل عنهم، يقول د. المشني: "وبجانب ما ذكر من المصادر؛ فإنَّ هناك مصادر أخرى لم يذكرها ابن العربي على وجه التعيين أو التخصيص، وإنَّما كان يكتفي بالنقل عن جملة المفسرين أو بعضهم ويعبِّر عن ذلك بعبارة تفيد ذلك، مثل: روى المفسرون، وقال أهل التفسير، وقال علماء التفسير ...إلخ"[16].

الورقة الثانية: المنهج الإجمالي لابن العربي في أحكام القرآن.

استنادا للمقدمة الراقية التي استهل بها ابن العربي مدوّنه يتجلى لنا المنهج العام الذي أعمله فيقول "... ولما مَنَّ الله سبحانه وتعالى بالاستبصار في استثارة العلوم من الكتاب العزيز، حسبما مهدته لنا المشيخة الذين لقينا، نظرناها من ذلك المطرح، ثم عرضناه على ما جلبه العلماء، وسبرناه بعيار الأشياخ، فما اتفق عليه النظر أثبتناه، وما تعارض فيه شجرناه وشحذناه"، حتى خلص نضاره ورق عراره، فنذكر الآية ثم نعطف على كلماتها بل حروفها، فنأخذ بمعرفتها مفردة ثم نركبها على أخواتها مضافة، ونحفظ

---

[13]، المصدر نفسه ، ج2، ص 135.

[14]، ابن العربي، أحكام القرآن، ج4، 158.

[15]، المرجع السابق الصفحة نفسها .

[16]، مصطفى المشني، ص 54، 55.

المنارة للاستشارات

في ذلك قسم البلاغة، ونحترز عن المناقضة في الأحكام والمعارضة، ونحتاط على جانب اللُّغة، ونقابلها في القرآن بما جاء في السُّنَّة الصيحة، ونتحرى وجه الجميع إذ الكل من عند الله، وإنَّما بُعث محمد صلى الله عله وسلم ليبيّن للناس ما نزل إليهم، ونعقب على ذلك بتوابع لا بُدَّ من تحصيل العلم بها منها حرصاً على أنْ يأتي القول مستقلاً بنفسه، إلاَّ أنْ يخرج عن الباب فنحيل عليه في موضعه، مجانبين للتقصير والإكثار، وبمشيئة الله نهتدي فمن يهده الله فهو المهتدي لا رب غيره"[17].

يقول محمد حسين الذهبي: "إنَّ الكتاب يعتبر مرجعاً مهماً للتفسير الفقهي عند المالكية، وذلك لأنَّ مؤلفه مالكي تأثَّر بمذهبه فظهرت عليه في تفسيره روح التعصُّب والدفاع عنه، غير أنَّه لم يشتط في تعصُّبه إلى الدرجة التي يتقاضى فيها عن زلة علمية تصدر من مجتهد مالكي، ولم يبلغ بع التعسُّف إلى الحد الذي يجعله يفند كلام مخالفيه إذا كان وجهاً مقبولاً"[18].

والذي يتصفح هذا التفسير يلمس منه روح الإنصاف لمخالفيه أحياناً، كما يلمس منه روح التعصُّب المذهبي التي تستولي على صاحبها، فتجعله أحياناً كثيرة يرمي مخالفه وإنْ كان إماماً له قيمته بالكلمات المقذعة اللاذعة تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح[19].

وجماع الأمر كله أن ابن العربي قد استبد بمنهج في بيان مراد الشارع رغم عوده إلى تراث القدامى والتعويل عليه إلا أن روح الاستدراك والتمحيص جليّة في استدلالاته واحتجاجه.

الفرع الثالث: نماذج تطبيقية للحوارات الوهمية.

إن بيان مراد الله عز وجلّ يقتضي التذرع بالقطعيات ونبذ نكت الخلاف ترجيحا واستدلالا، ومن أرقى أنواع الاستدلال ما يذعن اليه المكابر ويفحم الخصم، لذا درج عند القدامى ايراد المعلومات ثم الاستشهاد لها ثم تصور الاعتراض والاجابة عنه وهذا ما اطرد في تفسير ابن العربي وفيما يلي إيراد لجملة من النماذج المبينة لذلك.

الورقة الأولى: سرد الحقائق والاستدلال لها بالحقائق اللغوية .

---

[17]، أبن العربي، أحكام القرآن، ج1 المقدمة ص 6

[18]، الذهبي ، محمد حسين –التفسير والمفسرون، ج2 –ص475 .

[19] ، التفسير والمفسرون، ج 2، ص 450.

المنارة للاستشارات

- قال في بيان عظمة البيت: " جعل الله البيت الحرام للعرب عموما ولقريش خصوصا مثابة للناس أي معادا في كل عام لا يخلو منهم، يقال: ثاب إلى كذا أي: رجع وعاد إليه، **فإن قيل**: ليس كل من جاءه عاد إليه.

قلنا: لا يختص ذلك بمن ورد عليه، وإنما المعنى أنه لا يخلو من الجملة، ولم يعدم قاصدا من الناس؛ وكذلك جعله تبارك وتعالى أمنا يلقى الرجل فيه قاتل وليه فلا يروعه[20].

فانتقى المعنى الذي تجاذبته أطراف معان ورجحه بحسب السياق الذي في الآية، والاستدلال في ذلك بيان المعنى الراجح وبنبذ ما دونه من المعاني المخلة بالمفهوم.

- وفي بيان معنى الطهر قال: " فإن قيل: المراد بقوله تعالى: {حتى يطهرن} [البقرة: 222] حتى ينقطع عنهن الدم؛ وقد يستعمل التشديد موضع التخفيف، فيقال: تطهر بمعنى طهر، كما يقال: قطع وقطع، ويكون هذا أولى، لأنه لا يفتقر إلى إضمار، ومذهبكم يفتقر إلى إضمار قولك بالماء.

قلنا: لا يقال اطهرت المرأة بمعنى انقطع دمها، ولا يقال قطع مشددا بمعنى قطع مخففا، وإنما التشديد [بمعنى] تكثير التخفيف[21].

فنجد التعويل على اللغة يرجح مذهب المالكية ويجلي المقصود من الآية ويرفع اللبس الذي يطرأ عليها حال النظر.

- يقول ابن العربي: " إن الكلالة في هذه الآية فقد الابن والأب؛ لأن الإخوة للأم يحجبون بالجد، وهم المرادون في الآية بالإخوة إجماعا، ودخل فيها الجد الخارج عن الكلالة؛ لأنه أصل النسب كالأب المتولد عنه الابن، وأما الآية التي في آخر سورة النساء فقد قال المحققون من علمائنا: إن الجد أيضا خارج عنها؛ لأن الأخت مع الجد لا تأخذ نصفا؛ إنما هي مقاسمة، وكذلك الأخ مقاسم لها. **فإن قيل:** فلم أخرجتم الجد عنها؟ **قلنا:** لأن الاشتقاق يقتضي خروجه عنها؛ إذ حقيقة الكلالة ذهاب الطرفين، وعليه مبنى اللغة، وغير ذلك من الأقوال بعيد ضعيف. وأفسدها قول من قال: إنه المال، فإنه غير مسموع لغة ولا مقيس معنى.[22]

---

[20]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 1 ص 57.

[21]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 1 ص 288.

[22]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 1 ص 451.

المنارة للاستشارات

فخروج الجد من عموم الآية مستند لما يقتضيه السماع اللغوي والاشتقاق ولا معدل عنه وغيره وهم.

الورقة الثانية: سرد الحقائق والاستدلال لها بالأدلة الشرعية.

أورد ابن العربي مسألة كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟ وجلّى ماهية الانزال بجلب الدليل الشاهد بالاعتبار للتفسير الذي ساقه فنجده يقول: فإن قيل: وهي المسألة الخامسة: كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟ قلنا: كل خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر منزل من عند الله تعالى؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح: «ماذا فتح الليلة من الخزائن؟ ماذا أنزل الله تعالى من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحجر، رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» فأخبر عليه السلام عن نزول الفتن على الخلق[23].

وقال في بيان قوله تعالى : انه كان منصورا **فإن قيل**: وكم من ولي مخذول لا يصل إلى حقه. **قلنا:** المعونة تكون بظهور الحجة تارة، وباستيفائها أخرى، وبمجموعهما ثالثة، فأيها كان فهو نصر من الله سبحانه، وحكمته في الجمع بين الوجهين وفي إفراد النوعين، والله أعلم.[24].

وكذا استحضار النصوص في فهم الأنبياء قبل قال:" قوله: {ففزع منهم} [ص: 22]: فإن قيل: لم فزع وهو نبي وقد قويت نفسه بالنبوة، واطمأنت بالوحي، ووثقت بما آتاه الله من المنزلة، وأظهر على يديه من الآيات؟ قلنا: لأنه لم يضمن له العصمة، ولا أمن من القتل والإذاية، ومنهما. كان يخاف،وقد قال الله لموسى - عليه السلام -: لا تخف. وقبله قيل ذلك للوط؛ فهم فزعون من خوف ما لم يكن قيل لهم [فيه]: إنكم منه معصومون[25].

الورقة الثالثة: دفع التعارض الموهم:

أولا: ساق ابن العربي في معاني حرمة البيت:" حرمها أي بعلمه وكتابه وكلامه وإخباره بتحريمها وخلقه لتحريمها، كل ذلك منه صحيح، وإليه منسوب.

---

[23]- أحكام القرآن لابن العربي، ج1 ص 45.

[24]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 3 ص 198.

[25]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 4 ص 47.

المنارة للاستشارات

فإن قيل: ومن أي شيء حرمها؟ **قلنا:** من سطوة الجبابرة ومن ظلمة الكفر فيها بعد محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فإن قيل: فقد قال في الحديث الصحيح: «ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»، **قلنا:** هذا عند انقلاب الحال، وانقضاء الزمن، وإقبال الساعة [26].

فالاعتراض الوارد أليس من لوازم الحفظ أن لا يخرج أحد للكعبة بسوء والحديث يقضي بخلاف ذلك فالجواب باختلاف الزمان المحكّم .

ثانيا: جاء في معنى قوله تعالى:{فتيمموا} [المائدة: 6] إن كان يقتضي بلفظه النية فقوله: تطهروا واغتسلوا يقتضي بلفظه النية، كما تقدم. **فإن قيل**: الماء مطهر بنفسه، فلم يفتقر إلى قصد إذا وجدت النظافة به على أي وجه كانت. **قلنا:** وكذلك التراب ملوث بنفسه، فلم يفتقر إلى قصد إذا وجد التلوث به[27].

فالقياس هاهنا بفقه يعرف بالدعابة والترويح والاستدلال المنطقي الذي يلزم صاحبه قولا واحدا.

ثالثا: هنا مسألة عظيمة دخل منها أهل الاستشراق وحالوا تشويه سمعة النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابن العربي:" **فإن قيل:** فلأي معنى قال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: أمسك عليك زوجك، وقد أخبره الله أنها زوجته لا زوج زيد؟ **قلنا:** هذا لا يلزم؛ ولكن لطيب نفوسكم نفسر ما خطر من الإشكال فيه: إنه أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبته عنها، فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهية فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها.

فإن قيل: فكيف يأمره بالتمسك بها، وقد علم أن الفراق لا بد منه، وهذا تناقض؟ **قلنا:** بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة؛ ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنه لا يؤمن، فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلا وحكما، وهذا من نفيس العلم؛ فتيقنوه وتقبلوه[28].

الورقة الرابعة: الترجيح باعتبار قوة الدليل:

---

[26]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 2 ص 207.

[27]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 2 ص 207

[28]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 3 ص 578.

المنارة للاستشارات

يورد ابن العربي في معرض الحديث عن أسماء الله وصفاته خلاف الفقهاء في ذلك فيقول: " ما هذه الأسماء التي أضافها الله؟: وفي ذلك ثلاثة أقوال: الأول: أنها أسماؤه كلها التي فيها التعظيم والإكبار.

الثاني: أنها الأسماء التسعة والتسعون التي ورد فيها الحديث الصحيح: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة».

الثالث: أنها الأسماء التي دلت عليها أدلة الوحدانية، وهي سبعة تترتب على الوجود: العلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة. تقول: القادر العالم المريد الحي المتكلم السميع البصير، وفي ترتيبها تقريب بيناه في كتب الأصول، وكل اسم لله فإلى هذه الأصول يرجع، لكن الصحيح عندي أن المراد بها التسعة والتسعون التي عددها - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح.

فإن قيل: وهل إلى معرفتها سبيل؟ **قلنا:** حلق العلماء عليها، وساروا إليها فمن جائر وقاصد، والقاصد في الأكثر واقف دون المرام، والجائر ليس فيه كلام. فأما من وقف على الأمر فما عرفته إلا الإسفراييني والطوسي، إلا أن الطوسي تقلقل فيها فتزلزل عنها، وأما الإسفراييني فأسند طريقه ووضح تحقيقه" [29].

فساق الأقوال ثم أردفها بتساؤل يخطر ببال كل ناظر، ويجيب مستحضرا الاتجاهات التي تكلمت في الجزئية ثم يمحّص ويرجح باعتبار ما هداه إليه النظر.

خاتمة:

وفي ختام التطواف في الردود على الاعتراضات الوهمية التي ساقها ابن العربي في تفسير آي القرآن الكريم نجد:

من لوازم فهم كتاب الله تعالى بيانه وتجلية مقاصده بطرائق قطعية غير محتملة للتأويل أو الريب.

الاستدلال وقوة البرهان تجعل من صاحبها يستحضر خصما وهميا يعترض عليه ويجيب هو مستعملا أسلوبا درجت عليه العرب قديما هو الفنقلة.

لابن العربي طرائق في افحام الخصوم الوهمية منها سرد الحقائق والاستدلال لها بالحقائق اللغوية أو ما تقتضيه قواعد اللغة من اشتقاق وتصريف.

[29]- أحكام القرآن لابن العربي، ج 2 ص 340

المنارة للاستشارات

من الأساليب التي تفشيت في المحاورات الصورية عند ابن العربي سرد الحقائق والاستدلال لها بالأدلة الشرعية التي تثبت التصور الذي ساقه .

يعد الترجيح بالدليل الأقوى في الاعتبار من المناهج الكبرى في تفسير ابن العربي وبيانه لمراد الله .

نجد ابن العربي مضطرا أحيانا ليدفع التوهم الذي يعتري تفسير الآية يفصل في الاعتراض ويدفعه بشكل موجب للتصديق .

عظم عملية البحث التفسيري وريادة منهج ابن العربي في بثه للأحكام من الآيات القرآنية .

هذا وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المنارة للاستشارات